الفِـرقـة النّـاجيـة

إعداد: الموحّد بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

(٠) لماذا خلقنا الله عز وجل ؟

الحمد لله الذي جعل نعيم الدنيا الزائل للناس أجمعين المسلمين منهم والكافرين وخص نعيم الآخرة الدائم لعباده الموحّدين السائرين على نهج النبي الأمين (ﷺ) وعلى آله الطيبين وصحابته المجاهدين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد :

فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾

قال الإمام الطبري رحمه الله : فكان تأويل الآية : إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحُكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحُكم بالعدل بين خلقه.

وقال القرطبي : والمعنى بالخليفة هنا - في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل - هو آدم، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره.

إن الآية السابقة تستعرض موكب الحياة، بل موكب الوجود كله، تتحدث الآية عن خلافة البشر في الأرض، القصة الأولى للبشرية والهدف الوجودي من هذه الحياة، وهو خلافة الإنسان لرب العالمين في أرضه، يحكم فيها بشريعته المُنزلة على الرُسُل، وهذا هو معنى الخلافة؛ أن تكون شريعة الله هى التي تحكم الأرض، ومن أجل ذلك؛ فرض الله الجهاد على المسلمين حتى تكون كلمة الله هي العُليا في الأرض.

فهنا في هذا الجو تجيء قصة استخلاف آدم في الأرض، ومنحه مقاليدها على عهد من الله وشرط، وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة، كما أنها تُمهد للحديث عن استخلاف بني إسرائيل في الأرض بعهد من الله، ثم عزلهم عن هذه الخلافة وتسليم مقاليدها للأمة الإسلامية الوافية بعهد الله لتقوم هي بدور الخلافة في الأرض، وذلك أن بني إسرائيل

نقضدت هذا العهد بترك تنفيذ أوامر الله وشريعته التي نزلت على موسى (ﷺ)، فاستبدلهم الله عز وجل بأمة مُحمد (ﷺ).

إذاً الغاية من هذه الحياة هي الإنقياد والاستسلام لشريعة رب العالمين وحده لا شريك له وهذا هو مفهوم العبادة، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

تتحدث الآية السابقة عن الحقيقة الضخمة التي تُعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة، وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هناك غاية مُعينة لوجود الجن والإنس، تتمثل في وظيفة مُعينة من قام بهذه الوظيفة وأدّاها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصّر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة وباتت حياته فارغة من القصد، هذه الوظيفة المُعينة للجن والإنس هي العبادة لله وحده والإنقياد لشرعه وحده، وأن تستقيم حياة العبد كلها على هذا الاعتبار، ومن ثم يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضخمة ويتبين أن مدلول العبادة لا بُد أن يكون أوسع وأشمل من مُجرّد إقامة الشعائر الدينية فقط، وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً، وتحقق هذه الخلافة إذا كانت شريعة الله هي التي تحكم الأرض وليس شريعة وقوانين البشر أو أي مخلوق آخر، وبذلك يتحقق توحيد الله عز وجل في أرضه.

فالله عز وجل أرسل جميع الرُسُل منذ خلق آدم (ﷺ) إلى بعثة مُحمد (ﷺ) لتحقيق التوحيد في الأرض ولكن الاختلاف الوحيد كان في الشريعة، فشريعة موسى (ﷺ) هي التوراة،

وشريعة عيسى (ﷺ) هي الإنجيل، وشريعة مُحمد (ﷺ) هي القرآن، ولكن التوحيد ثابت لا يتغير وعلى أساسه يدخل الموحّد الجنة، ويدخل المُشرك النار، ومن هذه الحقيقة كان لِزاماً على كل مُسلم أن يعلم ما هو التوحيد ؟؟

(١)

التوحيـد والعقيـدة

(١) معنى (لا إله إلا الله) :

(لا إله إلا الله) هي الفارقة بين الكُفر والإسلام، وهي كلمة التقوى والعروة الوثقى، ولا تحقق بمُجرّد قولها باللسان مع الجهل بمعناها وعدم العمل بمقتضاها، فإن المنافقين يقولونها وهم مع ذلك في الدرك الأسفل من النار، وإنما تحقق بقولها ومعرفة معناها ومحبتها ومحبة أهلها وموالاتهم وبُغض من خالفها ومعاداته وقتاله.

وشهادة (لا إله إلا الله) نفي وإثبات : ف (لا إله) تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، و (إلا الله) تثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

ومن مقتضيات شهادة (لا إله إلا الله) أن تشهد أن (مُحمداً رسول الله)، وتتحقق شهادة أن (مُحمداً رسول الله) بطاعة النبي (ﷺ) فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر.

(٢) شروط (لا إله إلا الله) :

جعل الله تعالى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عنوان الدخول في الإسلام، وثمن الجنة، وسبب النجاة من النار، ولكنها لن تنفع قائلها ما لم يحقق شروطها، فقد قيل للحسن البصري : " إن أُناساً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال : من قال لا إله إلا الله، فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة " ، وقال الإمام البخاري : " قيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى، ولكن ليس هناك مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له

أسنان فُتح لك وإلا لم يُفتح لك " ، وأسنان مفتاح الجنة هي شروط (لا إله إلا الله) وشروطها هي :

- العلم
- اليقين
- الإخلاص
- المحبة
- الصدق
- الإنقياد
- القبول

١) العلم : وهو العلم بمعناها نفياً وإثباتاً بحيث يعلم القلب ما ينطق به اللسان.

قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

٢) اليقين : وهو كمال العلم بها المُنافي للشك والريب.

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

٣) الإخلاص : المُنافي للشرك.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾

٤) المحبة : أي محبة هذه الكلمة ولما دلّت عليه والسرور بذلك.

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾

٥) الصدق : المُنافي للكذب المانع من النفاق.

قال تعالى : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾

٦) الإنقياد : وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾

٧) القبول : المُنافي للرد، فقد يقولها من يعرفها لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً أو تكبراً.

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(٣) أقسام التوحيـد :

١) توحيد الربوبية : وهو توحيد الله بأفعاله ويتحقق بأن تعتقد أن الله هو الذي خلق المخلوقات وحده، ويرزقهم وحده، ويُدبّر الأمور وحده.

ومعظم الناس بفطرتهم يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المُدبّر المحيي المُميت، ويعترفون بكل ذلك ويُقرّون به، بل حتى الكُفار الذين قاتلهم رسول الله (ﷺ) واستحل دمائهم

وأموالهم كانوا يُقرّون بذلك، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾

ولكن توحيد الربوبية لوحده، بأن يُؤمن العبد بأن الله هو الذي خلقه ورزقه وأحياه، لا يكفي لدخوله الإسلام ما لم يعتقد بتوحيد الألوهية.

٢) توحيد الألوهية : وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والإستعانة، والتعظيم، والركوع، والجهاد، ....

ومعناه أن العبد يؤدي العبادة تقرباً لله وحده، فإذا فعل ذلك أصبح مُسلماً قد حقق التوحيد، وأما إذا أدّى العبد عبادة متقرباً بها لغير الله، أو صرف بعضها لله وبعضها لغير الله، لم يحقق التوحيد ووقع في الشرك، والعياذ بالله.

وتوحيد الألوهية، ويُسمى (توحيد العبادة) هو الذي لأجله أُرسِلت الرُسُل (عليهم السلام)، إذ كان كل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد العبادة، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾

وقال نوح، و هود، و صالح، و شُعيب (عليهم السلام) مقولة واحدة : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه بين الرُسُل وأُممهم، وهو الذي من أجله قاتل رسول الله (ﷺ) كُفار قريش، ومن أجله قاتل الخلفاء الراشدون المُرتدّين.

٣) توحيد الأسماء والصفات : وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من أسماء الله وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله (ﷺ) على الحقيقة واعتقاد أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ويجب الإيمان بأسماء الله وصفاته الثابتة في الكتاب والسُنة بمعانيها وأحكامها على فهم السلف الصالح، فأسماء الله وصفاته تُعرَف من القرآن والسُنة، ولا يجوز لأي أحد - أياً كان - أن يأتي من عنده بإسم أو صفة لله تعالى، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، أي نتوقف فيها عند الأسماء التي سمّى الله بها نفسه أو وصفها، أو سمّاه بها رسوله (ﷺ) أو وصفه.

وأسماء الله كلها حُسنى، وهي كثيرة منها : الصمد، البارئ، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، ...... كما له سبحانه صفات كثيرة كلها عُليا منها : الرحمة، القوة، الحكمة، الحياة، العِزّة، العِلم، الجبروت، ....

(٤) نواقض الإسلام :

إن الأشياء التي تُخرج المسلم من دائرة الإسلام وتُسقط عليه - إذا ارتكبها - اسم المُرتد عن مِلّة التوحيد كثيرة، وأعظمها عشرة وهي :

١) الشرك في عبادة الله تعالى.

٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

قال تعالى حاكياً عن المشركين في قولهم : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾

٣) من لم يُكفّر المشركين أو شك في كُفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر إجماعاً.

٤) من اعتقد أن غير هَدي النبي (ﷺ) أفضل من هَديهِ، وأن حُكم غيره أفضل من حُكمه، كالذين يُفضّلون حُكم الطواغيت على حُكمه فهم كُفّار.

٥) من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول (ﷺ) ولو عمل به .. قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾

٦) من استهزأ بشيء من دين الرسول (ﷺ) أو ثوابه أو عقابه فقد كفر.

قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾

٧) السِحر ومنه الصرف - وهو عمل سِحري يُقصد منه تغيير الإنسان عما يهواه، كصرف الرجل عن محبة زوجه على بُغضها .. فمن فعله أو رضي به فقد كفر.

٨) مُظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

٩) من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحمد (ﷺ) فهو كافر.

١٠) الإعراض عن دين الله تعالى - لا يتعلمه ولا يعمل به .. قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾

* ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المُكرَه.

(٥) معنى الطاغوت، و رؤوس أنواعه :

أول ما فرض الله على ابن آدم هو الكُفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾

وصفة الكُفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكفّر أهلها وتُعاديهم، وأما صفة الإيمان بالله فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتُخلِص بجميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتُحب في الله، وتبغض في الله.

* الطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حدّهُ من معبود أو متبوع أو مُطاع.

فمثال المعبود شياطين الجن التي تأمر سحرة البشر بعبادتهم؛ فيعبدونهم، ومثال المتبوع رؤساء الدول والحكومات والأمراء الذين يأمرون رعيتهم بمخالفة الشريعة الإسلامية والتحاكُم إلى القوانين الوضعية، ويُحاربون تحكيم الشريعة ومن يدعو إلى تطبيقها؛ فتتبعهم الرعية، وأما

مثال المُطاع مثل الأحبار والرُهبان ومشايخ السوء الذين يُحلون ما حرّم الله، ويُحرمون ما أحل الله، فيُطاعون في ذلك.

بينما المُسلم المُوحّد يكفر بكل معبود أو متبوع أو مُطاع من دون الله، ويتبرأ منهم ومن أتباعهم ويُعاديهم ويبغضهم، وهذه هي مِلّة إبراهيم (ﷺ) التي من رغب عنها فقد سفِهَ نفسه، وهو الأسوة الحسنة التي حثنا الله على الاقتداء بها في قوله تعالى :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾

ومن مِلّة إبراهيم أن نُقاتِل الطواغيت وأولياءهم وأتباعهم إعلاءً لكلمة الله، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

* والطواغيت كثيرة، و رؤوسهم خمسة :

١) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

فالشيطان هو الطاغوت الأكبر، الذي يسعى دوماً لصرف الناس عن طاعة الله، وهناك من البشر من يُشاركون الشيطان في صد الناس عن عبادة الله، وهؤلاء هم أيضاً طواغيت.

٢) الحاكم الجائر المُغيّر لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾

٣) الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

فإذا حكم الحاكم أو القاضي بين متخاصمين بغير ما أنزل الله، كأن حكّم القوانين الوضعية أو الأعراف والتقاليد العشائرية والقبلية، فقد ارتد عن دين الله وصار طاغوتاً، والحاكم بغير ما أنزل الله كافر، ومن تحاكم إليه من المتخاصمين كُفار أيضاً، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

فنفى الله سبحانه الإيمان عنهم لأنهم لم يُحكّموا شرع الله بينهم، وحكّموا الطاغوت.

٤) من ادّعى علم الغيب، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

فمن يدّعي أنه يعلم الغيب فهو طاغوت كذّب صريح القرآن الكريم، ويجب على المُسلم أن يحذر من الذهاب إلى كل من يدّعي علم الغيب مثل السحرة والكُهّان والعرافين، ولا يُصدقهم فيما يدّعونه؛ لأن " **من أتى عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد** ".

٥) من عُبِد من دون الله وهو راضٍ بعبادته أو من دعا الناس إلى عبادة نفسه، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

فالعبادة حق الله عز وجل، ولا يجوز لأحد أن يدعو لعبادة نفسه أو عبادة أحد غير الله تعالى؛ فمن فعل ذلك أو لم يفعل ولكنه رضي أن يُعبَد من دون الله فهو طاغوت.

* هذا وإن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا إذا كفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

والرُشد هو دين مُحمد (ﷺ)، والغي هو دين أبي جهل، والعروة الوثقى هي شهادة أنه (لا إله إلا الله)

ولا يكون العبد مُستمسكاً بالعروة الوثقى (التوحيد) إلا إذا وجدت فيه صفتان هما : الكُفر بالطاغوت والإيمان بالله.

(٢)

الـولاء والـبراء

*** إن أصل الدين وقاعدته أمران :**

الأمر الأول : هو عبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الأمر الثاني : هو الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والـمُعاداة فيه، وتكفير من فعله.

ويتفرّع عن هذا الأصل عقيدة (الولاء والبراء) الراسخة، وأصل هذه العقيدة قائم على الـمُفاصلة والـمُفارقة بين المسلمين وغيرهم على أساس الدين، وليس على أساس الأرض والقومية، فالـمُسلم الموحّد أخي في الله أواليه وأنصره وإن كان أبعد بعيد، والكافر الـمُرتد عدوّي أبغضه وأُعاديه وإن كان أقرب قريب.

فالموالاة والـمُعاداة في الله من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك أن التوحيد هو الكُفر بالطاغوت والإيمان بالله كما قال الله عز وجل : ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

فالرُكن الأول وهو الكُفر بالطاغوت يستلزم مُعاداة الكُفار والمشركين، ويستلزم بغضهم وكرههم والبراءة منهم، أما الرُكن الثاني وهو الإيمان بالله عز وجل فهو يستلزم محبة الله عز وجل ومحبة عباده المؤمنين، ومن هنا كان (الولاء والبراء) من لوازم الكُفر بالطاغوت والإيمان بالله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإنّ تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي

ألا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ويوالي في الله ويُعادي في الله " .. أي يوالي أهل التوحيد ويُعادي أهل الكُفر والشرك.

فموالاة المؤمنين ومُعاداة الكافرين رُكن في الإيمان، جعلها الله عز وجل من أصول الإيمان، أي إذا فقد الإنسان أصل الولاء والبراء، فهذا بلا شك فقدٌ لأصل الإيمان،

قال الله عز وجل : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

قال شيخ الإسلام : فأخبر سبحانه أن لا يوجد مؤمن يواد كافراً، فمن وادّ الكُفار فليس بمؤمن، قال الله عز وجل : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

يقول شيخ الإسلام رحمه الله عن هذه الآيات : " فإنه - أي الله عز وجل - أخبر في تلك الآيات أن مُتولّيهم لا يكون مؤمناً " ، أي من والى الكفار لا يكون بذلك مؤمناً.

كذلك من الجوانب التي تُبين أهمية الموالاة والمُعاداة، أن التفريط بهذه العقيدة قد يؤدي إلى الكُفر بلا شك، لأن الله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله : " هذه الآية على ظاهرها، بأنه كافر من جُملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ".

* ويجب أن ننوّه في مسألة عقيدة (الولاء والبراء) إلى مسألة خطيرة ومُعاصرة تهدم هذه العقيدة من جذورها، ألا وهي القومية والوطنية : وهي أن تجعل الولاء للوطن أو القوم وليس للإسلام.

*** الولاء للإسـلام لا للوطن :**

القومية والوطنية من المناهج الجاهلية المنحرفة التي غزت ديار الإسلام بعد سقوط الخلافة وزوال دار الإسلام، حيث كانت نابتة القومية من أُولى معاول الهدم التي دكّت أُسُس العقيدة الإسلامية، وجعلت من الانتماء للقومية – العربية أو الخليجية أو الأفريقية أو التركية .... أو غيرها – أساساً للاجتماع والولاء والنُصرة، ومن رَحِم هذه "القومية" الخبيثة وُلِدت "الوطنية" المقيتة، فمبدؤها واحد وحكمها واحد،

فالوطنية تعني ترك عقيدة (الولاء والبراء الإسلامية) وإحلال مكانها عقيدة (الولاء والبراء الوطنية) ، وبالتالي الوطنية دين باطل ومنهج جاهلي يدعو لاتخاذ الوطن وثناً وطاغوتاً يُعبد من دون الله، فهي تُلزم الناس بالعمل لها وحدها، والتضحية والقتال في سبيلها، وصرف البُغض والبراء لكل خارج عن حدود أرضها وإن كانوا أولياء الله، وصرف الحُب والولاء لكل داخل في حدودها وإن كانوا من أعظم الناس كُفراً وأغلظهم شركاً، وهي بهذا تكون نداً معبوداً من دون الله، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

فالوطنية تنقض عقيدة الولاء والبراء، ذلك أن أصل الولاء والبراء في الإسلام قائم على المُفاصلة والمُفارقة بين المسلمين وغيرهم على أساس الدين، كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾

أما الوطنيون فالموالاة عندهم قائمة على أساس الانتماء للأرض التي تحيطها حدود الوطن، وهذا يلزم منه إزالة الفوارق التي وضعها الله سبباً شرعياً للمُفاصلة من الكفار، وتلك مُصادمة صريحة لنصوص الشرع الصحيحة، قال تعالى :

﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾

أيضاً الوطنية تلغي التمايز بين المسلمين والكفار، فتخلط في ذلك بين مُسمّى الكُفر ومُسمّى الإيمان، لأن جعل الانتماء للأرض أساساً لمعاملة الناس يُزيل حتماً الفوارق المبنية على أساس الدين، والتي جعلها الله السبب الشرعي للتمييز بين الناس في الدنيا والآخرة، فالوطنية تجعل الناس مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم في مرتبة واحدة، وهذا تكذيب صريح لنصوص الدين القطعية، والتي منها : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾

ومنها أيضاً : ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾

وعلى النقيض الآخر، في حين أن الوطنية تلغي التمايز بين المسلمين والكفار من أبناء الوطن الواحد، فهي تفعل العكس بين المسلمين وتُفرّق بينهم وتجعلهم أوطاناً وقوميات مُتنافرة، كل منها يتعصّب لأرضه وتاريخه وتراثه، فهي تفصل المسلم العربي عن أخيه المسلم العجمي، بل وتُفرّق بين العرب أنفسهم، فهذا عراقي وذاك سوري وهناك مصري ...... إلخ، وكذلك تُفرّق بين المسلمين العجم كالأتراك والكُرد والفُرس، وفي ذلك تضاد لأمر الله عز وجل بالتجمع والاعتصام، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾

وفيه مساس بإخوّة الدين التي وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

وهي الصورة الناصعة التي جسّدها الصحابة (رضي الله عنهم) ؛ حمزة القرشي و بلال الحبشي و صهيب الرومي ، جمعهم الإسلام لا الوطن.

والوطنية من دعاوي الجاهلية؛ فالإسلام حارب دعاوي الجاهلية سواء كانت مُرتبطة بلون أو جنس أو عرق أو وطن أو مذهب، ولا شك أن دعوة القومية والوطنية دعوة إلى غير الإسلام؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " كل من خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية " ، ولا شك أن أرباب القومية والوطنية يدعون إلى قومية عصبية ووطنية جاهلية ويتفاخرون بالعروبة والوطن، والإسلام براء منهم ومن مناهجهم الكُفرية.

أيضاً الوطنية تُعطّل أحكام الديار والهجرة؛ ذلك أن جعل الرابط الوطني مُهيمناً على رابط الدين يلزم منه اختلاط الأحكام على الناس، فمن الأمور المستقرة في الشريعة أن دار الكُفر التي تعلوها أحكام الكُفر تختلف عن دار الإسلام التي تعلوها أحكام الإسلام وتحكم بما أنزل الله؛ ولكل منهما أحكامها التي تميزها، ومن هذه الأحكام وجوب الهِجرة من دار الكُفر إلى دار الإسلام، أما في دين الوطنية فلا مجال للكلام عن هذه المسائل البتة، لأن المواطن يلزم الوطن، بل ويُدافع عنه حتى وإن كان ذلك الوطن دار كُفر و رِدّة وحرابة؛ فالهجرة من دار الكُفر (وهي الدار التي لا تُحكَم بالشريعة الإسلامية) إلى دار الإسلام (وهي الدار التي تُحكَم بالشريعة الإسلامية) هي فرض عين على كل مُسلم ومُسلمة.

(٣)
الهِجرة في سبيــل الله

* معنى الدّار وانقسام العالم إلى دارين :

المقصود بالدّار : المدينة أو البلد أو الدولة أو حتى القرية، إذ أنه تجمّع بشري يسكن أي جهة من الأرض قام على نظام يحتكِم إليه في جميع شؤونه، سواء كان النظام شرعياً أو وضعياً.

ويُمكن أن نقول أن الدّار : هي البلاد وما تشمله من أقاليم داخلة تحت حُكمها.

لم يختلف العلماء من السَّلف والخلَف في تقسيم العالم إلى دارين لا ثالث لهما، دار إسلام، و دار كُفر، وهذا التقسيم تقسيمٌ أصيل مبني على كتاب الله وسُنة رسول الله (ﷺ)، فمن كتاب الله قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : " أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم " ، والهِجرة إذا أُطلِقت في الكتاب والسُنة فهي تعني الانتقال من دار الكُفر إلى دار الإسلام.

* تعريف دار الإسلام ودار الكُفر :

١) دار الإسلام : هي كل بلدٍ أو بُقعة من الأرض تعلوها أحكام الشريعة الإسلامية والغلبة والقوة والكلمة فيها للمسلمين، حتى وإن كان أكثر سُكّان هذه الدّار من الكافرين.

٢) دار الكُفر : هي كل بلدٍ أو بُقعة من الأرض تعلوها أحكام الكُفر والغلبة والقوة والكلمة فيها للكافرين، حتى وإن كان أكثر سُكّان هذه الدّار من المسلمين.

قال الإمام ابن مفلح رحمه الله : " فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام، وإن غلب عليها أحكام الكُفار فدار الكُفر، ولا دار لغيرهما ".

* أقسام دار الكُفر :

- دار الكُفر الأصلي : وهي التي لم تكن دار إسلام في وقت من الأوقات.
- دارا الكُفر الطارئ : وهي التي كانت دار إسلام في وقت من الأوقات، ثم استولى عليها الكفار أو ارتدّ الحاكمون عليها.

فصفة الدّار ليست من الصفات اللازمة المؤبدة، بل هي من الصفات العارضة المتغيرة؛ بمعنى أن الدّار قد تتغير من صفة إلى أُخرى، فقد تكون الدّار دار كُفر في وقت ما ثم تصير دار إسلام، وقد تكون دار إسلام ثم تصبح دار كُفر.

* حُكم الهِجرة في الإسلام :

الهجرة هي الخروج في سبيل الله من دار الكُفر إلى دار الإسلام حتى يكون المسلمين تحت سُلطان وحُكم الإسلام، والهجرة فرض عين على كل مُسلم ومُسلمة ولا يجوز للمسلمين أن يعيشوا تحت حُكم وسُلطان الكُفر، قال العلّامة ابن قاسم رحمه الله : " الهجرة معلوم ثبوتها بالكتّاب والسُنة والإجماع، متوعّد من تركها، وقد حكى الإجماع على وجوبها من بلد الشرك إلى بلد الإسلام غير واحد من أهل العِلم " ، ولذلك عندما فُرِضت الهجرة، هاجر الصحابة من مكة (دار تعلوها أحكام الكُفر) إلى المدينة (دار تعلوها أحكام الإسلام)،

و توعّد الله عز وجل الذين لم يُهاجروا حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾

قال الضحاك رحمه الله : " نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من قام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ) أي : بترك الهجرة ، (قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ) أي : لِمَ مكثتم هاهُنا وتركتم الهجرة ؟ ، (قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ) أي : لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض ، (قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) ".

كما دلّت السُنة النبوية على وجوب الهجرة؛ قال رسول الله (ﷺ) : **" أنا بريء من كل مُسلم أقام بين أظهر المشركين ".**

فقد حذّر رسول الله (ﷺ) في هذا الحديث من إقامة المُسلم بأرض المشركين ومُساكنتهم بشكل دائم وبقاؤه فيهم، وذلك حتى يتميّز المُسلم من الكافر؛ فإن المُسلم يُحارب لله ولرسوله

ويدعو إلى الهداية إلى الله تعالى، أما الكافر يُحارب الله ورسوله ويدعو إلى الشيطان، فكيف يتّفقان ويصلُحُ أن يُقيما معاً، كما أنه عند جِهاد المسلمين للكفار في بلادهم قد يقتل المسلمين الـمُجاهدين أُناس من المسلمين الـمُقيمين في دار الكُفر قتل خطأ دون أن يعلموا أنهم مسلمين، ولذلك كان التحذير الشديد من ترك الهجرة والإقامة في دار الكُفر.

(٤)

الجِهـاد في سبيـل الله

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

عن الحسن البصري رحمه الله قال : " إن لكل طريق مُختصراً، ومُختصر طريق الجنة الجِهاد ".

الجهاد : هو بذل الجُهد وتفريغ الوسع في قتال أهل الكُفر والعناد، لتكون كلمة الله هي العُليا، وكلمة الذين كفروا السُفلى.

فقد شرع الله عز وجل الجهاد من أجل إقامة النظام الإلهي في الأرض، حتى تكون شريعة رب العالمين هي الحاكمة لأهل الأرض جميعاً، وهذا الجهاد هو الذي جعله القرآن ميزاناً يُوزَن به إيمان الرجل وإخلاصه للدين.

*** الحِكمة من مشروعية الجهاد :**

إن للجهاد في سبيل الله حِكماً كثيرة وغايات عظيمة، منها :

- إقامة الدين وتحقيق العبودية لرب العالمين.

- دفع الشرك بالله الذي هو أعظم الظلم وأكبر الفساد، قال تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

- هداية الناس وإزالة الحواجز والعقبات عن طريق الدعوة.
- حفظ الضروريات الخمس : الدين ، والنفس ، والعِرض ، والعقل ، والمال.
- هو السبيل للتمكين في الأرض، وإقامة شرع الله، ودفع الفساد الديني والدنيوي.
- التطبيق العملي لعقيدة الولاء والبراء؛ بموالاة أهل التوحيد ونصرتهم، ومُعاداة أهل الكُفر ومحاربتهم.
- دفع الظلم، وإحقاق الحق، والحيلولة دون الإفساد في الأرض، قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

- الحفاظ على كيان وعِز المسلمين، وحفظ بيضتهم، ونصرة المستضعفين؛

قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾

- كشف المنافقين، وتمييز المؤمنين، قال تعالى :

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

*** مراحل تشريع الجهاد :**

في العهد المكّي أُمِر النبي (ﷺ) بالعفو والصفح، وتحمُّل الأذى، والمجادلة بالتي هي أحسن والصبر، وأُمِر أن يجاهد الكفار بالحُجة والبيان، ولم يُؤمر بجهادهم بالسيف والسنان إلا بعد الهجرة إلى المدينة، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾

وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فكان النبي (ﷺ) في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بالقرآن جهاداً كبيراً، قال تعالى في سورة الفرقان – وهي مكيّة – :

(فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا) ، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ".

وقد تدرّج تشريع الجهاد بالنفس في سبيل الله على ثلاث مراحل، هي :

١) المرحلة الأولى : الإذن بالقتال في سبيل الله دون أن يُفرض، قال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾

قال غير واحد من السلف : هذه أول آية نزلت في الجهاد.

٢) المرحلة الثانية : الأمر بقتال من قاتل المسلمين من الكفار، والكف عمّن كف عن قتالهم، ويمكن أن تُسمّى هذه المرحلة مرحلة دفاع، قال تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

٣) المرحلة الثالثة : الأمر بقتال جميع الكفار، وابتداؤهم بالقتال أينما كانوا حتى يُسلِموا، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ويخضعوا لحُكم الإسلام، ويدخلوا في حماية المسلمين،

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول القرطبي في تفسيره : " (فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ) أي : خرج ، (فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ) : عام في كل مُشرك ، (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) : عام في كل موضع ".

وقال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾

والجزية : هي جزء من المال يؤخذ على الرؤوس منهم كل سنة مقابل حمايتهم وإقرارهم في بلاد المسلمين، وهي تُؤخذ من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وممن عندهم شبهة كتاب كالمجوس، أما المشركون عبّاد الأوثان فلا تؤخذ منهم الجزية، فإما الإسلام أو القتال،

عن قتادة قوله : " (إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا) قال : هم مُشركو قريش، الذين عاهدهم رسول الله (ﷺ) زمن الحديبية، وكان بقي من مدّتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر، فأمر الله نبيه أن يوفّي لهم بعهدهم إلى مدّتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم، ونبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده،

وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن مُحمداً رسول الله ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك ".

قال أبو حنيفة : لا يُقبَل من مُشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، وتُقبَل من أهل الكتاب ومن سائر كفار العجم الجزية.

وقال الشافعي، وأحمد، وأبو ثور : لا تُقبَل الجزية إلا من اليهود والنصارى والمجوس فقط.

* أقسام الجهاد من حيث الحُكم :

ينقسم الجهاد من حيث حُكمه إلى قسمين :

١) القسم الأول : فرض كفاية : وهو جهاد الطلب، إذا قام به من يكفي سقط الوجوب والإثم عن الباقين.

والدليل على فرضيته من حيث الأصل قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾

وقوله (ﷺ) : **" من مات ولم يغزُ ولم يُحدِّث نفسه بالغزو ، مات على شُعبة من النِفاق "**
وقد أجمع المسلمون على وجوبه في الجُملة.

وأما كون جهاد الطلب ليس واجباً على الأعيان، فيدل عليه قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

٢) القسم الثاني : فرض عين : يكون الجهاد فرض عين في ثلاثة مواطن - **مُجمع** عليها بين العلماء :

* الموضع الأول : إذا حضر صف القتال، لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

وقد ثبت في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال : " **اجتنبوا السبع الموبقات ...** " وذكر منها : " **التولّي يوم الزحف** " ، ولم تستثنِ الآية الكريمة ممن يولّي الكافرين دُبُره إلا صنفين : الأول : (إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ) أي : مائلاً إلى جهة أُخرى، ليتمكن من ضرب عدوه وقتاله ، والثاني : (مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ) أي : مُنحازاً إلى جماعة أُخرى من المؤمنين، ليقاتل معهم ليقوّيهم ويَقوى بهم.

* الموضع الثاني : إذا دهم العدو بلد الإسلام، فإن الجهاد يتعيّن على الجميع، دفاعاً للعدو الصائل، وحماية لبيضة المسلمين، ويجب ذلك على الأقرب فالأقرب، لقوله تعالى :

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾

* الموضع الثالث : إذا استنفر الإمام، وجب النفير على كل من وقع عليه الأمر، لقوله تعالى:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

ولقوله (ﷺ) : " **وإذا استُنفِرتم ، فانفروا** "

كما ذكر بعض أهل العلم أن الجهاد يتعيّن إذا لم يقم به من يكفي في جهاد الطلب حتى تحصل الكفاية، وإذا أُسِر المسلمين، كذلك يتعيّن على أهل العلم والرأي والشجاعة الذين يُحتاج إليهم في ثغور الجهاد.

* **تنبيه :** إذا كان الجهاد فرض عين، فإنه لا يشترط له أي شرط، لا إذن الإمام، ولا إذن الوالدين، ولا إذن الدائن، ولا غير ذلك، فيجب على كل من استطاع القتال أن يُقاتل بحسبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما قتال الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحُرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان، وقد نصَّ على ذلك العلماء أصحابُنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر، وبين طلبِه في بلاده ".

* قِتال الطائفة الـمُمتنِعة :

الطائفة الـمُمتنِعة : هي جماعة تنتسب إلى الإسلام ثم تمتنع بالقوة والقتال عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، ولو أقرّت بوجوبها.

مثالها : لو امتنعت طائفة عن التزام أداء الزكاة أو عن التزام الصيام أو غير ذلك من شرائع الإسلام، ولو أقرّوا بوجوبها، أو لم يلتزموا ترك الـمُحرّمات الظاهرة كالربا والخمر والزنا، ولو أقرّوا بتحريمها، ولم نقدر على إلزامهم إلا بالقتال، أو يكونون ذوي قوة يمتنعون بها عن التزام الشرائع الظاهرة ولو لم يُباشروا القتال فعلياً.

حُكم الطائفة الـمُمتنِعة :

حُكم الطائفة الـمُمتنِعة على الصحيح من قولي العلماء هو الرِدّة، والخروج عن الإسلام؛ وذلك لأن مُسمّى الإيمان أنه قول وعمل، وأنه لا بد من الإنقياد لأوامر الله تعالى.

والدليل على ذلك : إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) الـمُستند إلى الدليل؛ فقد سمّوا مانعي الزكاة بالـمُرتدّين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يُصلّون الخمس ويصومون شهر رمضان، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة، فلهذا كانوا مُرتدّين، وهم يُقاتِلون على منعها، وإن أقرّوا بالوجوب كما أمر الله ".

وقال أبو عبيد القاسم ابن سلّام : " والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة، كجهاد رسول الله (ﷺ) أهل الشرك سواءاً،

لا فرق بينهما في سفك الدماء، وسبي الذرية، واغتنام المال، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها ".

حُكم قِتال الطائفة المُمتنِعة :

لقد دل الكتاب والسُنة، والإجماع على وجوب قِتال الطائفة المُمتنِعة.

قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾

فإذا كان بعض الدين لله، وبعضه الآخر لغير الله ؛ وجب القتال حتى يكون الدين كله لله.

وفي الصحيحين عن ابن عُمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : " **أُمِرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله** ".

وقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : " الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعها ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأجمع العلماء على أن كل طائفة مُمتنِعة عن شريعة متواترة من شرائع الإسلام، فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كُله لله ".

وقال أيضاً رحمه الله : " فعُلِم أن مُجرّد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال، فالقتال واجب حتى يكون الدين كُله لله ، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب، فأيُّما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء، والأموال، والخمر، والزنا، والميسر أو عن نكاح ذوات المحارم،

أو عن التزام جهاد الكُفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين، ومُحرّماته التي لا عُذر لأحد في جحودها وتركها، والتي يكفر الجاحد لوجوبها؛ فإن الطائفة المُمتنِعة تُقاتَل عليها، وإن كانت مُقِرّة بها، وهذا ما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء ".

وقد بينّا سابقاً أن الله (عز وجل) شرع الجهاد على المسلمين حتى يكون دين الله هو الحاكم لأهل الأرض، ولتحرير البشر من عبادة العِباد إلى عبادة رب العِباد، ولن يتحقق ذلك إلا بجعل شريعة رب العالمين هي الحاكمة للبشر على الأرض، وليس شرائع البشر، وبذلك تتحقق العبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له ، ويُستأصَل الشرك من الأرض الذي هو أعظم الظلم وأكبر الفساد، ولتحقيق الغاية التي خلقنا الله من أجلها، وهي إقامة الخِلافة في الأرض..

(٥)

ثُمّ تكون خِلافة على مِنهاج النبوّة

قال رسول الله (ﷺ) : " **تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خِلافة على مِنهاج النبوّة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون مُلكاً عاضّاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون مُلكاً جبريّةً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثُم تكون خِلافة على مِنهاج النبوّة** ".

في الحديث السابق يُبيّن لنا رسول الله (ﷺ) أن الأمة الإسلامية ستمُر بخمس مراحل مُنذ عهد النبوّة وإلى آخر الزمان، وهذه المراحل الخمس هي :

١) مرحلة النبوّة : مُحمد (ﷺ)

٢) مرحلة الخِلافة الراشدة :

- أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)
- عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
- عثمان بن عفان (رضي الله عنه)
- علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

٣) مرحلة الـمُلك العاض :

- الخلافة الأموية
- الخلافة العباسية
- الخلافة العثمانية

٤) مرحلة الـمُلك الجبري : نظام الدستور والقوانين الوضعية

٥) مرحلة عودة الخِلافة الراشدة : الفِرقة النّاجية

والـمُتأمل لهذه المراحل الخمس، سيعلم أن الأمة الإسلامية مرّت بالمراحل الثلاث الأولى وانتهت منها بشكل كامل، ونحن الآن في نهاية مرحلة الـمُلك الجبري والذي بدأت نهايته مُنذ ما عُرِف بـ (ثورات الربيع العربي) ؛ أي أن الأمة الإسلامية الآن تـمُر بمرحلة إنتقالية بين الـمُلك الجبري و عودة الخِلافة الراشدة ، وإذا تعمقنا أكثر في أحاديث النبي (ﷺ) في آخر الزمان، سنعلم أن عودة الخِلافة الراشدة ستكون على يد طائفة من الأمة الإسلامية تُعرَف في الأحاديث النبوية باسم الطائفة المنصورة أو الفِرقة النّاجية ؛

فمن هي الفِرقة النّاجية ؟؟

وما هي أوصافها ؟؟

(٦)

الفِـرقـة النّـاجيـة

قال رسول الله (ﷺ) : " **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي** ".

في هذا الحديث يُبيّن لنا رسول الله (ﷺ) أن الأمة الإسلامية ستفترق من بعدهُ إلى ثلاث وسبعين فرقة، وقال أن هناك اثنتين وسبعين فرقة منهم في النار، وأن فرقة واحدة فقط هي التي ستنجو من النار، ولهذا سُميت بالفِرقة النّاجية ، وقد سأله الصحابة (رضي الله عنهم) من هي هذه الفرقة الناجية من النار، قال إنها الفرقة التي سارت على نفس النهج الذي كان عليه رسول الله (ﷺ) وصحابته (رضي الله عنهم).

ولذلك لم يكن من الممكن أن نتحدث عن الفِرقة النّاجية دون أن نتحدث أولاً عن التوحيد والعقيدة والجهاد في سبيل الله، والمنهج الذي كان عليه رسول الله (ﷺ) وصحابته (رضي الله عنهم) ؛ وذلك حتى نستطيع أن نعلم يقيناً من هي هذه الفرقة التي سارت على نفس العقيدة والمنهج الذي كان عليه رسول الله (ﷺ) وصحابته (رضي الله عنهم).

وعندما نتأمل الأحاديث النبوية، سنجد أن الفِرقة النّاجية لها صفات أساسية وهي صفات مُشتركة على مر العصور مُنذ عهد الرسول والصحابة وإلى آخر الزمان، وهي الصفات التي يجب أن تكون عليها هذه الفرقة لكي نعلم أنها على الحق، وسنجد أيضاً صفات ثانوية وهي عبارة عن أوصاف للفِرقة النّاجية ولكن يُقصَد بها الفِرقة النّاجية وتحديداً في آخر الزمان قُبيل عودة الخِلافة الراشدة وظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ؛ أي في المرحلة الإنتقالية بين المُلك الجبري و عودة الخِلافة الراشدة.

إذن هناك صفات أساسية للفِرقة النّاجية على مر العصور في الأمة الإسلامية، وهناك صفات ثانوية للفِرقة النّاجية في آخر الزمان في عصر ما قبل ظهور الإمام المهدي.

* الصفات الأساسية :

١) أنها فرقة على عقيدة التوحيد السليمة من أهل السُنة والجماعة ، وذلك أهم صفة للفِرقة النّاجية ، إذ أن الإسلام هو التوحيد.

٢) أنها فرقة تُقاتِل في سبيل الله لإقامة شرع الله في الأرض ، والدليل على ذلك، قال رسول الله (ﷺ) : **" لا تزال طائفة من أُمّتي يُقاتِلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يُقاتِل آخرهم المسيح الدجّال ".**

فالحديث يُبيّن أنها طائفة تُقاتِل على الحق، أي من أجل تطبيق شرع الله، وإقامة الخِلافة في الأرض، ويدل على أنها طائفة منصورة على أعدائها؛ ولذلك فهي أيضاً تُسمّى الطائفة المنصورة.

وقد ذُكِر لنا الكثير من الأحاديث النبوية التي تؤكد أن القتال في سبيل الله لإقامة شرع الله في الأرض هي من أهم صفات الطائفة المنصورة، ونذكر منها التالي :

قال رسول الله (ﷺ) : **" لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتِل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة ".**

ومن حديث عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : " **لا تزال عصابةٌ من أُمّتي يُقاتِلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك** ".

إنه القتال في سبيل الله قدر كل من أراد الانتساب لهذه الطائفة المنصورة، وقوله (ﷺ) : (لا تزال) و (يُقاتِلون) و (حتى يُقاتِل آخرهم المسيح الدجّال) يدل على أن هذه الطائفة المقاتلة طائفة مُمتدة كحبّات العقد يأخذ خلفُها عن سلفِها، ويفضي سابقها للاحقها في تتابع واتصال ليس بينهما فراغ؛ لتظل الراية مرفوعة دائماً وأبداً، فهي وحدةٌ واحدة لها أول ولها آخر عبر عُمر الأمة كُله.

وقد ترجم كثير من الأئمة لأحاديث الطائفة المنصورة بما يدل على ما ذكرناه من كون القتال قدر الطائفة المنصورة، قال الإمام أبو داود في سننه (باب في دوام الجهاد) ، وقال ابن الجارود رحمه الله في المنتقى (باب دوام الجهاد إلى يوم القيامة).

هذا القتال هو أخص أوصاف أهل هذه الطائفة المنصورة، وألصقُها بهم، فهو شعارهم ودثارهم، وهو دنياهم وآخرتهم، وهو فراغهم وشغلهم، وهو حلهم وترحالهم، عكفوا عليه، وتنادوا إليه، فكان التسابق زرافاتٍ ووحداناً.

* الصفات الثانوية :

قُلنا أن الصفات الثانوية هي عبارة عن علامات للفِرقة النّاجية في آخر الزمان، ذلك أن آخر الزمان ستصل الفتن للذروة القصوى؛ لذلك وصف لنا رسول الله (ﷺ) علامات إضافية لهذه الطائفة حتى لا يلتبس على المسلمين أمرهم من كثرة الفتن في هذا الزمان.

قال رسول الله (ﷺ) : " **يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قِبَل المشرق ، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه ، فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي** ".

قال ابن كثير رحمه الله : " والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، وقال أيضاً : ويُؤيد - أي المهدي - بناس من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه ويشيدون أركانه وتكون راياتهم سودا أيضاً، وهو زي الوقار لأن راية رسول الله (ﷺ) كانت سوداء يُقال لها : العُقاب ".

إذن نعلم من هذا الحديث بعض الصفات الإضافية للفِرقة النّاجية أو الطائفة المنصورة ، وهي :

- راية هذه الطائفة لونها أسود.
- هذه الطائفة هي التي ستُمهِّد للإمام المهدي وتُقيم سلطانه وتنصره وتُمهِّد لبيعته وخِلافته.
- أول ظهور لهذه الطائفة سيكون من المشرق؛

وقد ذكرت بعض الأحاديث الضعيفة أن المقصود بالمشرق هي خُراسان (أفغانستان حالياً) ، حيث ذكر ابن ماجة في سننه : قال رسول الله (ﷺ) : " **إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قِبَل خُراسان فأتوها ، فإن فيها خليفة الله المهدي ".**

أيضاً هذه الطائفة هي التي ستفتح بإذن الله بيت المقدس وستُقيم الخِلافة هناك، فقد دلّت السُنة النبوية على أن الخِلافة في آخر الزمان ستكون في الأرض المُقدّسة،
قال رسول الله (ﷺ) : " **يا ابن حوالة ، إذا رأيت الخِلافة قد نزلت أرض المُقدّسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك ".**

وقد ورد حديث ضعيف الإسناد أخرجه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده يُبيّن مسار هذه الطائفة مُنذ خروجها أول الأمر من خُراسان ثم تظل تُقاتِل حتى تصل إلى إيلياء (بيت المقدس) ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : " **تخرج من خُراسان رايات سود، لا يرُدّها شيءٌ حتى تُنصب بإيلياء ".**

وهذا الحديث يُشير إلى أن هذه الطائفة المنصورة ستخرج في أول الأمر من خُراسان ثم تتوجه إلى إيلياء (بيت المقدس) ولن يرُدّها شيء : أي لن يستطيع أحد أن يوقِف مسارها، حتى تُقيم رايتها في بيت المقدس.

إذن نفهم من الأحاديث النبوية أن الفِرقة النّاجية أو الطائفة المنصورة في آخر الزمان هم أهل التوحيد وأهل الجِهاد في سبيل الله ، وأنهم كما ذكر ابن كثير رحمه الله في شرحه للحديث هم أصحاب الرايات السود الذين سيُمهِّدون وينصرون الإمام المهدي (عليه السلام).

(٧)

الإمـام المهـدي

قال رسول الله (ﷺ) : " **أُبشّركم بالمهدي ، يُبعَث في أُمّتِي على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلِئَت جوراً وظُلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، يَقسِم المال صَحَاحاً** ".

يُخبرنا رسول الله (ﷺ) في الحديث السابق أن المهدي سيظهر في زمن مليء بالاختلاف بين الناس في أُمّة مُحمد (ﷺ) والتفرّق والتشرذم، وأيضاً زمن به الكثير من الزلازل، فيبعثه الله ليملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئَت ظُلماً.

اسم المهدي ونَسبُه :

قال رسول الله (ﷺ) : " **لا تذهب - لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي** ".

فالحديث يدل على أن المهدي يوافق اسمه اسم النبي (ﷺ)، واسم أبيه اسم أبيه، وهذا يعني أن اسمه : (مُحمد بن عبد الله) ، وهو من نسل النبي (ﷺ)، أي أنه من ولد فاطمة بنت الرسول (ﷺ) وعلي بن أبي طالب، من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)

قال ابن كثير رحمه الله : " وهو مُحمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني، والله أعلم، يُصلحه الله في ليلة واحدة، أي : يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك ".

عدد سنوات خِلافة المهدي :

قال رسول الله (ﷺ) : " **المهدي مِنّي ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظُلماً ، يملك سبع سنين** ".

فالحديث السابق ذكر بعض صفات المهدي الجسدية، أنه أجلى الجبهة، وأقنى الأنف، ومعنى أجلى الجبهة : أي واسع الجبهة إذا انحسر الشعر عن مقدم الرأس، فهذه الجبهة قد انجلت، جبهته متسعة، ومعنى أقنى الأنف : القنى في الأنف طوله ودقة أرنبته، والأرنبة هي رأس الأنف مع ارتفاع في وسطه.

أيضاً الحديث ذكر عدد سنوات خِلافة المهدي، وهي سبع سنين، وفي هذه السنوات السبع ستحدث الكثير من الأحداث العظيمة من الملاحم وأشراط الساعة، ويمكن تقسيم الأحداث الرئيسية إلى قسمين؛ القسم الأول هي أحداث ستحدث قُبيل ظهور المهدي وبيعته في مكة عند الكعبة، والقسم الثاني هي أحداث ستحدث في عهد خِلافته والتي ستمكث سبع سنين.

فقد ورد عن النبي (ﷺ) حديث يتحدث عن أحداث متتابعة تحدث وراء بعضها بالتتابع، بعضها قبل ظهور المهدي، والبعض الآخر في عهد المهدي، فعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله (ﷺ) : " **عُمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجّال** ".

فالحديث السابق يخبرنا عن خمسة أحداث رئيسية ستحدث بالتتابع وراء بعضها، وهي :

١) عُمران بيت المقدس

٢) خراب يثرب (المدينة المنورة)

٣) الملحمة الكُبرى

٤) فتح القسطنطينية (اسطنبول حالياً)

٥) خروج المسيح الدجّال

ونعلم من بعض الأحاديث أن المهدي يظهر بعد اقتتال وخراب سيحدث في أرض الحجاز، وسيكون سببه اقتتال ثلاثة من الأمراء، ثم على إثره مباشرةً يظهر المهدي ويُبايَع عند الكعبة، والدليل على ذلك حديث رُوِيَ عن النبي (ﷺ) ؛

قال رسول الله (ﷺ) : " **يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قِبَل المشرق ، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه ، فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي** ".

فالحديث يُبيّن أن الاقتتال بين ثلاثة من الأمراء سيحدث أولاً، ثم بعده يظهر المهدي، وهذا الاقتتال هو الذي سيتسبب في خراب يثرب؛ أي أن المهدي يظهر بعد خراب يثرب وقبل الملحمة الكُبري.

إذن يمكن تقسيم الأحداث الرئيسية إلى قسمين : أحداث قُبيل ظهور المهدي ، وأحداث في عهد خِلافة المهدي.

* أحداث قُبيل ظهور المهدي :

١) عُمران بيت المقدس : والمقصود بعُمران بيت المقدس هو نزول الخِلافة فيه، وفتحه وتحريره عن طريق الطائفة المنصورة (أصحاب الرايات السود) ، والله تعالى أعلم.

٢) خراب يثرب : ويثرب هي المدينة المنورة، وستخرب كما ذكرنا بعد اقتتال ثلاثة من الأمراء في أرض الحجاز.

ثم بعد ذلك يُبايَع المهدي عند الكعبة بين الرُكن والمقام، قال رسول الله (ﷺ) : " **يُبايَع لرجل بين الرُكن والمقام ، ولن يستحل البيت إلا أهله ، فإذا استحلّوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخرّبونه خراباً لا يعمر بعده أبداً ، وهم الذين يستخرجون كنزه** ".

أيضاً عند بيعة المهدي في مكة، سيأتي جيش لـمُحاربته، ولكن سيخسف الله بهم الأرض؛ قال رسول الله (ﷺ) : " **يعوذ عائذ بالبيت ، فيُبعَث إليه بَعث ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بهم** ".

*** أحداث في عهد خِلافة المهدي :**

١) الملحمة الكُبرى : وهي حرب عظيمة بين المسلمين والروم تقع بالشام في آخر الزمان، يسبقها هُدنة وصُلح بين المسلمين والروم؛ نُقاتِل نحن وهم عدواً مُشتركاً، ثم يغدِرون ويجمعون الجيوش لحرب المسلمين في الشام.

قال رسول الله (ﷺ) : " **ستُصالحون الروم صُلحاً آمناً ، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم ، فتُنصَرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول ، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول : غلَب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيدُقّه ، فعند ذلك تغدِر الروم وتجمع للملحمة** ".

٢) فتح القسطنطينية : والقسطنطينية هي اسطنبول حالياً، وسيفتحها المسلمون عقِب الملحمة الكُبرى مباشرةً بإذن الله تعالى؛

قال رسول الله (ﷺ) : **" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذٍ ، فإذا تصافّوا ، قالت الروم : خلّوا بيننا وبين الذين سَبَوا مِنّا نُقاتِلهم ، فيقول المسلمون : لا، والله لا نُخَلّي بينكم وبين إخواننا ، فيُقاتِلونهم ؛ فينهزم ثُلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويُقتل ثُلثهم، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثُلث، لا يُفتَنون أبداً ؛ فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون ؛ إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم ، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خرج ، فبينما هم يُعِدّون للقتال، ويُسوّون الصفوف، إذ أُقيمت الصلاة ؛ فينزل عيسى ابن مريم (ﷺ) ، فأمّهُم ، فإذا رآه عدو الله ؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيُريهم دمه في حربته ".**

ثم بعد فتح قسطنطينية، يخرج المسيح الدجّال.

٣) خروج المسيح الدجّال : فالحديث السابق يُخبر بأربعة أحداث رئيسية، فالحدث الأول هو خروج الروم للملحمة الكُبرى، والحدث الثاني هو فتح قسطنطينية، والحدث الثالث هو خروج المسيح الدجّال، والحدث الرابع نزول عيسى ابن مريم (ﷺ) ليقتل الدجّال.

والدجّال يخرج بعد فتح المسلمين للقسطنطينية، بسبب غضبة يغضبها، فقد ورد عن أُم المؤمنين حفصة (رضي الله عنها) : أن رسول الله (ﷺ) قال : **" إنما يخرج الدجّال من غَضبةٍ يَغضبُها ".**

فلماذا يغضب ويخرج للناس علانيةً بعد فتح قسطنطينية ؟؟

(٨)

المسيـح الدجّـال

قال رسول الله (ﷺ) : **" لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجّال ، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها ، وما صُنِعَت فتنةٌ مُنذ كانت الدُنيا صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا تتّضِع لفتنة الدجّال ".**

يخبرنا رسول الله (ﷺ) في الحديث السابق أن جميع الفتن مُنذ بداية الدُنيا هي فتن تمهيدية للفتنة الأكبر في تاريخ الدُنيا وهي فتنة الدجّال، وقال أنه لن ينجو من فتنة الدجّال إلا الذي نجا من الفتن التي قبله، وذلك لأنها فتن مصنوعة من أجل التمهيد لخروجه، فهي فتن تُمـهّد عقول البشر لإتباعه.

وقد ذكر لنا النبي (ﷺ) أربع فتن رئيسية تحدث في تاريخ الأمة الإسلامية، وهي الفتن العظيمة التي تنقل الأمة الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أُخرى، وكل الفتن الصغيرة هي فتن فرعية من هذه الفتن الرئيسية الأربعة، وهذه الفتن الأربعة هي :
فتنة الأحلاس ، وفتنة السّرّاء ، وفتنة الدُهَيماء ، وفتنة الدجّال.

عن عبد الله بن عُمر قال : كُنّا قعوداً عند رسول الله (ﷺ) ، **فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل : يا رسول الله ، وما فتنة الأحلاس ؟**

" قال : هي هَرَبٌ وحَرَبٌ . ثم فتنة السّرّاء ؛ دَخنُها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مِنّي وليس مِنِي، وإنما أوليائي الـمُتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل كوركٍ على ضِلعٍ . ثم فتنة الدُهَيماء ؛ لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمةً، فإذا قيل : انقضت تمادت، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين : فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجّال من يومهِ أو من غدهِ ".

فتنة الأحلاس : وهي الفتنة التي تسببت في التفرّق بين المسلمين والاقتتال فيما بينهم، وأدّت إلى ظهور الفِرَق الضالة مثل الشيعة والخوارج وغيرهم، وقد بدأت هذه الفتنة مُنذ مقتل سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ومازالت آثارها إلى يومنا هذا، وهي الفتنة التي أدّت إلى انتقال الأمة الإسلامية من مرحلة الخِلافة الراشدة إلى مرحلة الـمُلك العاض.

فتنة السّرّاء : بدأت هذه الفتنة مُنذ ما عُرِف بـ (الثورة العربية الكُبرى) والتي كان قائدها الشريف حسين، وهذه الفتنة هي التي تسببت في ظهور الدعاوي الجاهلية في العالم الإسلامي؛ كالقومية العربية والوطنية، والتي هدمت عقيدة الولاء والبراء بين المسلمين وبعضهم، وأدّت إلى تغلغل العلمانية في بلاد المسلمين، وأصبح المسلمون يتنافسون من أجل جمع المال والحصول على الشهادات الجامعية وغيرها من الأمور المادية، وتركوا الجهاد في سبيل الله والذي فيه عِز الأُمّة.

قال رسول الله (ﷺ) : " **إذا تبايعتم بالعِينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم** ".

فأصبحت الدُنيا غاية الإنسان وإمامه وأمنيته؛ فلا يتخذها مطية للآخرة، وقد تسببت هذه الفتنة إلى انتقال الأمة الإسلامية من مرحلة الـمُلك العاض إلى مرحلة الـمُلك الجبري.

فتنة الدُهَيماء : بدأت هذه الفتنة مُنذ ما عُرِف بـ (ثورات الربيع العربي)، وهي فتنة تشمل جميع أفراد الأمة الإسلامية، والشبهات والشهوات في هذه الفتنة تصل إلى الذروة القصوى، وذلك لأن هذه الفتنة هي التي تسبق خروج الدجّال؛ فهي لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة : أي تصيب جميع أفراد الأمة الإسلامية، مثل وسائل التواصل الاجتماعي التي غزت جميع أفراد الأمة خصوصاً بعد ثورات الربيع العربي؛ فمنهم من غرق في الشهوات

بسبب هذه الفتنة، ومنهم من غرق في الشبهات وتحوّل من الإيمان إلى الكُفر، ولذلك قال النبي (ﷺ) : يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً ؛ أي يتحوّل في نفس اليوم من الإيمان إلى الكُفر والعياذ بالله ، وذلك بسبب الإعلام، والإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من الفتن، وهي فتنة تتمايز فيها الصفوف، وتحدث فيها غربلة للأمة الإسلامية حتى ينقسم الناس إلى فسطاطين لا ثالث لهما : فسطاط إيمان ، وفسطاط نفاق، وبالرغم من شدة هذه الفتنة وسقوط الكثير فيها، إلا أنها في نهايتها رحمة لفسطاط الإيمان، وذلك لأن المهدي يظهر في نهاية هذه الفتنة، وتنتقل فيها الأمة من مرحلة المُلك الجبري إلى مرحلة الخِلافة الراشدة بقيادة المهدي، وينتصر المسلمين على الروم في الملحمة الكُبرى، ويفتتحون قسطنطينية، ويكون هذا هو سبب غضب الدجّال وخروجه إلى العلَن؛ وذلك لأنه يرى أن جميع مخططاته التي خطط لها على مدار قرون من الزمان وتسببت في هذه الفتن؛ يهدمها المسلمون في بِضع سنين بانتصاراتهم وفتوحاتهم؛ فيخرج للعلَن حتى يفتن الناس بنفسه.

قال النبي (ﷺ) في آخر الحديث بعد أن ينقسم الناس إلى فسطاطين؛ " فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجّال من يومهِ أو من غدهِ " ، أي : يظهر الدجّال بعد فتنة الدُهَيماء بوقت قليل، ولأن فتنة الدُهَيماء هي التي تسبق الدجّال؛ فهي فتنة مليئة بالخداع والأكاذيب، وقلب المصطلحات؛ فترى الحجاب والعِفّة تُسمّى رجعية وتخلّف، وترى العُري والتبرج يُسمّى تحضّراً، وترى الإلتزام بالواجبات الشرعية يُسمّى تشدداً، والإنحلال والتسيّب يُسمّى وسطية.

قال رسول الله (ﷺ) : **" إن أمام الدجّال سنين خدّاعة ، يُكذّب فيها الصادق ، ويُصدّق فيها الكاذب ، ويُخوّن فيها الأمين ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الفويسق يتكلم في أمر العامة ".**

وفي هذه الفتنة يكثر الأئمة المُضلّين الذين خانوا الإسلام والمسلمين؛ فترى الناس يئتمنونهم على دينهم ويُصدّقونهم، ويُخوّنون أهل الصدق والجهاد ويُكذّبونهم.

عن أبا ذر قال : كنت مخاصر النبي (ﷺ) يوماً إلى منزله، فسمعته يقول : " **غير الدجّال أخوف على أُمّتِي من الدجّال . فلما خشيت أن يدخل قلت : يا رسول الله ، أي شيء أخوف على أُمّتك من الدجّال ؟ قال : الأئمة المُضلّين "**.

ومعنى الحديث : أن الأئمة المُضلّين من أشد ما يخاف النبي (ﷺ) على أُمّته، حتى إنهم أخوف عنده على أُمّته من الدجّال، وذلك لأن الأئمة المُضلّين هي فتنة تُمهّد للدجّال، فمن اتبعهم فيما يقولونه؛ فحتماً سيتبعون الدجّال، والمقصود بالأئمة المُضلّين : الأئمة المتبوعون الذين يُضِلّون الناس عن سبيل الله أو يُحرّفون لهم الدين والشريعة، فيدخل في ذلك : الحُكّام الفسدة، والعلماء الفجرة، والعُبّاد الجهلة.

ولأن هذه الفتن تقلِب المصطلحات، وتُسمي الصادق بالكاذب، وتُسمي الكاذب بالصادق، وتنقلب فيها المعايير الفطرية، فيكون الباطل حقاً، ويكون الحق باطلاً؛ فإن هذه الفتن تُمهّد لفتنة الدجّال، وذلك لأن الدجّال معه جنة ونار؛ فناره جنة ، وجنته نار،
قال رسول الله (ﷺ) : " **الدجّال أعور العين اليُسرى ، جُفال الشعر ، معه جنة ونار ؛ فناره جنة ، وجنته نار "**.

ولأن المعايير تكون قد انقلبت والفِطرة انتكست؛ فإن أغلب الناس سيدخلون في جنته والتي هي في حقيقتها نار.

وأكثر الناس الذين يعبدون العِلم الدنيوي، وينبهرون بالتكنولوچيا وغيرها من الأمور المادية، فإنهم سيتبعونه، وذلك لأن الدجّال سيكون معه فتنة تجعلهم ينبهرون بها مثل التكنولوچيا اليوم، ولا شك أن التكنولوچيا التي تغلغلت اليوم في العالم أجمع هي مُقدّمات وتمهيدات لفتنته الكُبرى.

قال رسول الله (ﷺ) واصفاً فتنة من فتن الدجّال : **" وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تُمطِر فتُمطِر ، ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت ، وإن من فتنته أن يمُر بالحي فيُكذّبونه، فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت ، وإن من فتنته أن يمُر بالحي فيُصدّقونه، فيأمر السماء أن تُمطِر فتُمطِر ، ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت ، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت، وأعظمه، وأمدّه خواصر، وأدرّه ضروعاً ".**

أيضاً معه فتنة عظيمة تجعل الناس يظنون أنه يُحيي الموتى، قال النبي (ﷺ) : **" وإن من فتنته أن معه شياطين تمثّل له على صور الناس فتأتي الأعرابي، فيقول : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم، فتمثّل له شياطينه على صورة أبيه وأمه، فيقولان له : يا بُني اتبعه فإنه ربك ".**

أيضاً تمثّل شياطينه على صورة الإبل، قال النبي (ﷺ) : **" وإن من فتنته يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك إبلك أتشهد أني ربك ؟ فيقول: نعم، فتمثّل الشياطين على صورة إبله ".**

*** إذَن كيف نجو من هذه الفتن العظيمة ؟؟**

قال رسول الله (ﷺ) : " **من سمع بالدجّال فلينأ عنه ، والله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يُبعَث به من الشبهات** ".

إذَن ابتعد عن فِتنُه تماماً لا تقربها، فمهما كنت مؤمن فإن فتنته أشد بسبب كثرة الشبهات، وهذا الأمر النبوي بالابتعاد عن فِتَن الدجّال ليس فقط عندما يظهر علانيةً ، ولكن أيضاً للفتن التي تسبقه لأنها فِتَن تمهيدية لفتنته ، تتهيأ فيها العقول لإتباعه.

ولأن فتنته ستكون شديدة على الناس، فإن النبي (ﷺ) ذكر لنا علامات ظاهرة يراها كل مؤمن، تدل على أنه الدجّال؛

قال رسول الله (ﷺ) : " **إني قد حدثتكم عن الدجّال حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إن المسيح الدجّال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور ، مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء ، فإن أُلبِس عليكم ، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور** ".

وقال أيضاً (ﷺ) مُبيّناً أشياء هامة حتى نتذكرها عند حدوث فتنته العظيمة، بحيث تظل في الأذهان : " **إنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه من كَرِه عمله، أو يقرؤه كل مؤمن** " ،

وقال أيضاً (ﷺ) : " **تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت** ".

فهي علامات وأشياء ظاهرة لكل مؤمن، مثل : أنه أعور ، ومكتوب بين عينيه كافر ، وأنه لن يرى أحد من الناس الله عز وجل في الدُنيا قبل أن يموت، وبالتالي كل من يدّعي الألوهية مهما كان معه من الخوارق فإنه كاذباً.

وبالرغم من أن هذه العلامات ظاهرة وتبدو واضحة، إلا أنها لن تنفع فسطاط النفاق، وذلك لأن فسطاط النفاق تمّت تهيئة عقله مُسبقاً لإتباعه، فهو وقع في الفتن التي تسبق الدجّال، وكان يرى أن الكُفر ليست بالجريمة، بل يرى الكُفر أنه وجهة نظر، ويُحِب الكافرين، فهذه العلامات الظاهرة لن تنفعه، بل لن يراها أصلاً، فهي علامات تنفع فقط فسطاط الإيمان الذي ثبت في الفتن التي تسبق الدجّال، وكان من أتباع الفِرقة النّاجية.

أيضاً من الأمور التي تعصم من فتنة الدجّال هي حفظ أول عشر آيات من سورة الكهف، قال رسول الله (ﷺ) : **" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجّال ".** وذلك لما في هذه السورة من العجائب والآيات، فمن تدبّرها لم يُفتَن بالدجّال.

ذكر أيضاً النبي (ﷺ) أن الدجّال لن يستطيع أن يدخل مكة والمدينة، ولذلك فمن أراد أن يبتعد عن فتنته، فليذهب إلى هناك، ولكن لن ينفعه ذلك إن كان من فسطاط النفاق، قال رسول الله (ﷺ) : **" ليس من بلد إلا سيطؤه الدجّال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه ملائكة صافّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ فيُخرِج الله كل كافر ومُنافق ".**

وسيظل الدجّال بعد خروجه علانيةً ليفتن الناس فترة زمنية تُقدّر بسنة وشهرين وأسبوعين إذا حسبناها بأيامنا الحالية، فقد سُئِل النبي (ﷺ) كم يمكث الدجّال في الأرض بعد خروجه ، فقال (ﷺ): **" أربعين يوماً ؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم "**

ثم بعد ذلك يأذن الله عز وجل لعيسى ابن مريم (ﷺ) بأن ينزل من السماء ليقتل الدجّال، فعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال : ذكر رسول الله (ﷺ) الدجّال، فقالت أُم شريك : فأين المسلمون يومئذٍ يا رسول الله ؟ قال : " **ببيت المقدس ، يخرج حتى يُحاصِرهم، وإمام الناس يومئذٍ رجل صالح، فيُقال : صلّي الصبح، فإذا كبّر ودخل فيها نزل عيسى ابن مريم (عليه السلام)، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه، فرجع يمشي القهقري، فيتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثم يقول : صلّي فإنما أُقيمت لك، فيُصلّي عيسى وراءه ، ثم يقول : افتحوا الباب، فيفتحون الباب ، ومع الدجّال يومئذٍ سبعون ألفاً يهود، كلهم ذو ساج وسيف محلاً ، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص، وكما يذوب الملح في الماء ، ثم يخرج هارباً، فيُدركه عيسى فيقتله ، فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي إلا أنطقه الله ، لا حجر، ولا شجر، ولا دابة إلا قال : يا عبد الله المُسلم، هذا يهودي فاقتله، إلا الغرقد - فإنها من شجرهم - فلا ينطق** ".

وبعد أن يقتل عيسى (ﷺ) الدجّال، سنُقاتِل اليهود أتباع الدجّال وأولياءه، وهذه المعركة بين المسلمين واليهود غير المعركة الأولى؛ فالمعركة الأولى تكون عند فتح بيت المقدس على أيدي الطائفة المنصورة (أصحاب الرايات السود) وهذه المعركة هي التي تُنهِي دولتهم في فلسطين، وذلك قبل ظهور المهدي، ثم المعركة الثانية وهي التي تُنهِي وجود اليهود بشكل عام، فهي تكون في عهد المهدي وعيسى (عليهما السلام) بعد قتل الدجّال، وهذا الذي ذُكِر في الحديث السابق، والله تعالى أعلم..

ويمكث عيسى ابن مريم (ﷺ) بعد نزوله أربعين سنة، ويتّبِع شريعة الإسلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يبقى في الأرض إلا الإسلام.

قال رسول الله (ﷺ) : " **ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع ، إلى الحُمرة والبياض ، بين مُمصّرتَين ، كأن رأسه يَقطُر وإن لم يُصبه بلل ، فيُقاتِل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويُهلِك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويُهلِك المسيح الدجّال ، فيمكث في الأرض أربعين سنةً ، ثم يُتوفّى فيُصلّي عليه المسلمون** ".

(٩)
إيمـان أو كُـفر

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾

بهذه العِزّة، وهذا الوضوح، فالحق لا ينثني ولا ينحني، وإنما يسير في طريقه قيماً لا عوج فيه، قوياً لا ضعف فيه، صريحاً لا مداورة فيه ، " **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** " ، ومن لم يجعل هواه تبعاً لما جاء من عند الله ، فلا مُجاملة على حساب العقيدة، ومن لم يحنِ هامته ويطامن كبريائه أمام جلال الله ، فلا حاجة بالعقيدة إليه، إن العقيدة ليست ملكاً لأحد حتى يُجامَل فيها، وإنما هي ملك لله ، والله غني عن العالمين.

إن الإيمان ليس كلمة تُقال، وإنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس : آمنا، وهم لا يُتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، كذلك تصنع الفتنة بالقلوب، ليميز الله بها الصادقين من المنافقين، قال تعالى :

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾

وهذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسُنّة جارية في ميزان الله سبحانه، فهي سُنّة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يتميز الصادقين من الكاذبين في إدعائهم الإيمان، فيصير الناس إلى فسطاطين : فسطاط الإيمان ، وفسطاط الكُفر والنفاق، إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرّد لها وإخلاص، الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء، وإنها لأمانة الخِلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله ، وتحقيق كلمته في عالم الحياة، فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، ومن ثَم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء والفتن.

إنها سلعة الله الغالية، إنها الجنة ثمن هذه الفتن والابتلاءات للذين آمنوا وثبتوا، ولم تُغيّرهم الفتن والابتلاءات، بل أصبحوا أشد وأصلب إيماناً مما كانوا عليه قبل الفتنة، فهذه الجنة الغالية ليست لفسطاط الكُفر والنفاق، إنما هي لفسطاط الإيمان، يجمع الله سبحانه وتعالى الفسطاطين يوم القيامة، يوم الجمع، يوم الحشر، يوم يجمع الله ما تفرّق من الخلائق على مدار الأزمنة واختلاف الأمكنة، ليفُرّقهم من جديد، فريق إلى الجنة ، وفريق إلى النار ،

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾

فيُحاسب الله كل فسطاط بحسب عملهم في دار العمل في هذه الأرض، في فترة الحياة الدنيا، فيُدخِل فسطاط الإيمان الجنة ، ويُدخِل فسطاط الكُفر والنفاق النار.

فهُما فسطاطان لا ثالث لهما، والحرب بين الفسطاطين ستظل قائمة حتى قيام الساعة، والعاقبةُ للمُتقِين..

قال تعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله ، والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه وسلم ..

تم بحمد الله

١٤٤٢ هـ